

المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات مقياس الحضارة الإنسانية لطلبة السنة أولى

أدب عربي السداسي الثاني

د. محمد مقدم

الحضارة لغة :

" الحضارة الإقامة في الحضر عن أبي زيد، وكان الأصمعي يقول: الحضارة بالفتح، قال القطامي:

فمن ترك الحضارة أعجبه فأي رجال بادية ترانا

والحضر والحضرة والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، فالحضارة والحاضرة خلاف البادية والحضر خلاف البدو والبادوة"¹

اصطلاحاً:

الحضارة: " تستخدم اللفظة في الدلالة على المجتمع المعقد الذي يعيش أكثر أفرادهِ في المدن ويمارسون الزراعة، التعدين، التصنيع على مستوى مصغر، والتجارة على خلاف المجتمعات البدوية ذات البنية القبلية التي تنتقل بطبيعتها وتعتاش بأساليب لا تربطها ببقعة جغرافية محددة، كالصيد مثلاً، ويعتبر المجتمع الصناعي الحديث شكلاً من أشكال الحضارة"².

وللحضارة تعاريف متعددة وكثيرة وضعها علماء الانثروبولوجيا نذكر من بينهم تعريف العالم رالف بدنجتون RAIPH PIDDINGTON الذي عرفها بأن حضارة اي شعب ما هي إلا: "حزمة أدوات فكرية ومادية تمكن الشعب من قضاء حاجاته الاجتماعية والحيوية بإشباع وتمكنه كذلك من ان يتكيف في بيئته بشكل مناسب.

وعرفها العالم المعروف ادوارد تايلور EDWARD TAYLOR بأنها "الكل المركب الذي يجمع بداخله جميع المعتقدات، والقيم، والتقاليد، والقوانين، والمعلومات، والفنون ، وأي عادات، أو سلوكات، أو إمكانيات، يمكن أن يحصل عليها فرد ما في مجتمع ما".

وأضاف ول ديورانت صاحب " قصة الحضارة " بأن الحضارة هي: " نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف،

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة (حضر)

2- انظر تعريف الحضارة ، موقع ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org> .اطلع عليه بتاريخ 2020/03/30.

3- انظر تعريف الحضارة ، موقع مفاهيم : <https://mafahem.com> .اطلع عليه بتاريخ 2020/03/30.

4- لؤي خياط، فلسفة الحضارة، (2012) ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org> .اطلع عليه بتاريخ 2020/03/30. بكر بلقايد- كلية

تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها".³

ويمكن تعريفها بأنها: "إرث الإنسان المادي والمعنوي الذي خلفه في الماضي، والذي اعتمد عليه الإنسان لإكمال مسيرة حياته وتقدمه الحالي، سواءً أكانت مظاهر معنوية كأسلوب الحياة، والمعيشة اليومية، والعلوم، والمعارف، أو أدوات ووسائل مادية بقيت أثراً لوجوده كالبُنيان، والمسكوكات، والأعمال اليدوية المختلفة؛ مثل الخزف، والفخار، وغيرها".⁴

ويعتبر ابن خلدون أول من اصطلح الحضارة بالمعنى الفني، إذ فرق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري، وجعل أجيال البدو والحضر طبيعة في الوجود، فالبداءة أصل الحضارة، والبدو أقدم من الحضرة..."⁵

وعرفها آخرون بأنها:

"هي جملة مظاهر الرُّقى العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في مجتمع من المجتمعات، أو في مجتمعات متشابهة.. فهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني".⁶

أو "مجموعة المظاهر العلمية، والأدبية، والفنية، وكذلك الاجتماعية، الموجودة في المجتمع. وتعتمد الحضارات الإنسانية المختلفة على بعضها البعض، فكل حضارة جاءت متممةً للحضارة التي سبقتها، وتسهم هذه الحضارات في البناء الحضاري الإنساني للعالم بأكمله".⁷

أو هي "مجموعة المفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر، وما ينبثق عن هذه المفاهيم من مثل وتقاليد وأفكار ونظم وقوانين تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد هذه المجموعة البشرية وما يتصل بهم من مصالح مشتركة، أو بعبارة مختصرة جميع مظاهر النشاط البشري الصادر عن تدير عقلي"⁸

أو هي "ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة"⁹

3- انظر تعريف الحضارة، موقع مفاهيم : <https://mafahem.com> اطلع عليه بتاريخ 2020/03/30.

4- بوزياني فاطمة الزهراء (2012)، مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي وابن خلدون، الجزائر: جامعة أبي بكر بلقايد- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، صفحة 1

5- تاريخ الحضارة الإسلامية، عبد الحسين مهدي الرحيم، ص 27

6- تعريف الحضارة وأسسها في الإسلام، ياسر تاج الدين حامد: موقع الألوكة <https://www.alukah.net> اطلع عليه بتاريخ 2020/03/30

7- مفهوم الحضارة، صابرين السعو، موقع موضوع كوم <https://mawdoo3.com> اطلع عليه بتاريخ 2020/03/30

8- تاريخ الحضارة الإسلامية، عبد الحسين مهدي الرحيم، ص 28.

وبالنظر إلى هذه التعاريف نجد أن بعضها نظر إلى اعتبار الحضارة مجموعة من مظاهر الرقي والازدهار، التي تتصف بها بعض المجتمعات الإنسانية، فالحضارة وفق هذا الرأي صفة للناس والجماعات، وليست صفة تبقى على الأرض، والحضارة على هذا تزول بزوال الناس المتصفين بها، مهما بقيت لها وراءهم من آثار، وبكن الأصل أن لتلك المبادئ والعقائد والأفكار السائدة في كل حضارة ما هي إلا أسس ومنطلقات لتكوينها¹⁰.

إن مدار الحضارة – مهما تشقق أو اختلف الحديث عنها- إلى الجهود المبذولة التي يبذلها الإنسان في نطاق انتقاله من حياة البداوة وبساطتها، إلى حياة العمران وتعقيداتها، وإنما تعني كلمة (الحضر) في اللغة ما يقابل المعنى الذي يراد بكلمة (البداوة)، من حيث المدلول الذاتي لكل منهما وما قد يتبعه من مستلزمات، فالعلاقة بين المعنى اللغوي والقصد الاصطلاحي لكلمة الحضارة واضحة جلية. ثم إن الحضارة تزداد اتساعاً وعمقاً، كلما ازدادت بأصحابها بعداً عن طبيعة البداوة ومستلزماتها، وإيغالا في المجتمع العمراني، وتفاعلا مع آثاره الإيجابية¹¹.

المحاضرة الثانية: عناصر الحضارة:

الحضارة ليست أكثر من من ثمرات الجهد الذي يبذله الإنسان لاستغلال المكونات التي من حوله، في سبيل تحقيق مقومات المجتمع الإنساني، وبث أسباب الخير والسعادة فيه. وإذن فعناصر الحضارة أو أركانها الأساسية، إنما تتمثل في هذه الكليات الثلاثة: الإنسان، الحياة، الكون.

وإنما مركز الثقل من القصد بالإنسان، أو الكيان الإنساني، في هذا المقام عقله وتفكيره ووجدانه.

أما الحياة فنقصد بها العمر الذي يتمتع به الإنسان ولعل التعبير به أدق في الدلالة على المعنى المطلوب من كلمة (الزمن) إذ (الزمن) يدل على معنى قائم ومستقل بذاته، دون أن يأخذ بعين الاعتبار أي صلة له بالإنسان، وإنما المراد هنا ذلك البعد الزمني الذي تنبسط على مساحته كينونة الإنسان وبقاؤه متمتعاً بحياته وفكره، وإنما يعبر عنه بالحياة أو العمر.

9- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، محمد سعيد رمضان البوطي، ص19.

10- ينظر تعقيب الشيخ البوطي على تعريف الشيخ ألو الأعلى المودودي للحضارة، منهج الحضارة الإنسانية، ص19

11- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، محمد سعيد رمضان البوطي، ص19.

ونقصد بالكون المكونات المتنوعة المختلفة ، الخاضعة لتسخير الإنسان، وهو التعبير العلمي الذي يفرضه علينا الدقة المدلوبة في الربط بين الألفاظ ومدلولاتها، بدلا من تلك الكلمة العمياء التي لا يستبين لها أي حجم علمي يمكن أن يعتمد عليه، وهي (الطبيعة)¹²

ومن الواضح أن الإنسان أهم هذه العناصر الثلاثة وأخطرها، إذ هو العنصر الفعال والمؤثر، أما العنصران الآخريان، وهما الكون والحياة، فمفعلان ومتأثران. وهذا يعني أن الإنسان هو محور العمارة الكونية في هذه الحياة الدنيا"¹³

لا علاقة بين قيام الحضارة وتحقيق العدالة والرفاه المجتمعي أو الإنساني

ليس ثمة أي لزوم بين الحضارة من حيث هي، وما قد تستهدفه أو يتوقع منها من مبادئ الحق والخير للإنسان، فقد تهتدي حضارة ما إلى سبيل هذه المبادئ فتحققها، وقد لا تهتدي إليها فتتنكب عنها، إذ هي ليست أكثر من الجهود المبذولة من قبل الفكر الإنساني، للاستفادة من هذه الأجهزة الكونية المتناثرة حولنا. أما هل يفق أصحاب هذه الجهود إلى استعمال هذه الأجهزة على وجه مفيد للإنسانية عموما، وهل من الممكن أن يتورطوا في استعمالها على وجه غير مفيد، وهل تتدخل احتمالات الجواب على هذا السؤال في تحديد معنى الحضارة، أو وضع شروط معينة لاستحقاقها هذا الاسم بجدارة فهذا ما لا شأن لمدلول كلمة (الحضارة) به".¹⁴

نماذج عن الحضارات الإنسانية

المحاضرة الثالثة : الحضارة البابلية

عرفت الحضارة البابلية باسم الحضارة الآرامية ، وهذه الحضارة كان مهدها أرض العراق ، فقد كانت العراق عاصمة الدولة البابلية ، أيام حكم الملك الشهير حمورابي ، وقد حكم البابليين منطقة ما بين النهرين ، وقد اشتهرت هذه الدولة بحضارتها العظيمة ، والتي امتدت فيما بين عام 1894 – 1594 ق.م ، أي أنها امتد قرابة ثلاثة قرون من الزمان ، تعاقب خلالها 11 ملك على الحكم"¹⁵ .

12- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، محمد سعيد رمضان البوطي، ص20.

13- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، ص21.

14- المرجع نفسه، ص21.

15- الحضارة البابلية وأشهر معالمها الأثرية، إسماء حسان، موقع المرسال : www.almrsal.com

"بلاد بابل أو البابلية أو بابل تعني بالأكدية (بوابة الإله)، وكان الفرس يطلقون عليها "بابروش" دولة بلاد ما بين النهرين القديمة. كانت تعرف قديماً ببلاد سومر وبلاد سومر كانت تقع بين نهري (دجلة والفرات جنوب بغداد حالياً (بالعراق). فظهرت الحضارة البابلية ما بين القرنين 18 ق.م. و 6 قبل الميلاد. مركز هذا الإقليم هو مدينة بابل والتي مرّ عليها خلال فترات وجودها العديد من الشعوب والحكام."¹⁶

"تمثل بابل المدينة القديمة لبلاد ما بين النهرين، وهي واحدة من أهم مدن الشرق الأوسط القديم، واكتسبت هذه المدينة أوج ازدهارها في الألفية الثالثة قبل الميلاد عندما اتخذها حمورابي عاصمة مملكة بابل حينها، إذ هزم خصومه في المنطقة، وأسس مجتمعاً قام على حكم القانون، ومهارة علماء الفلك، والرياضيات، وأصبحت بلاد ما بين النهرين كلها تحت سيطرته بحلول نهاية حكمه لأول مرة منذ إمبراطورية سرجون قبل 500 عام"¹⁷ وحقبة وجود إمبراطورية بابل القديمة (1894-1595 ق.م) وصارت بابل مركزاً هاماً تجارياً وسياسياً وثقافياً"¹⁸

"وكانت بلاد بابل تقوم على الزراعة وليس الصناعة. وبابل دولة أسسها حمورابي عام 1763 ق.م. وأصدر قانونه (شريعة حمورابي..وهو من أعظم ملوكها توفي عام 1750 ق.م.) والذي اشتهر بمجموعة القوانين المعروفة باسمه. وبعد حمورابي بفترة يسيرة أقل نجم هذه الإمبراطورية لتعود وتزدهر من جديد وتوسع رقعتها فتشمل فلسطين وتبلغ الحدود المصرية وذلك في الفترة التي سيطر خلالها الكلدانيون على بابل ابتداءً من عام 625 قبل الميلاد. ويطلق على الإمبراطورية البابلية في هذه المرحلة اسم "الإمبراطورية البابلية الثانية"...والحضارة البابلية من أعظم الحضارات القديمة. وقد حققت إنجازات ذات شأن في الفلك والرياضيات والطب والموسيقى"¹⁹

"فشريعة حمورابي أثر تاريخي هام ، ووثيقة ثمينة تكشف بنية المجتمع في ذلك الزمن، تظهر الشرائع الاجتماعية التي كلن يعتمد عليها ملوك بابل، وعن أي مصالح يدافعون في المقام الأول، كما أطلعنا شريعة حمورابي على الطبقات والفئات الاجتماعية في مجتمع بابل وعلاقاتهم الحقوقية، تتألف الشريعة من ثلاثة أبواب: مقدمة، متن ، خلاصة...ضم التشريع 282 مادة ضاع منها 33 مادة بسبب التلف الذي

16- انظر موقع ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org> اطلع عليه بتاريخ 2020/03/30.

17- الحضارة البابلية، سماء مسالمة، موقع موضوع كوم <https://mawdoo3.com> اطلع عليه بتاريخ 2020/03/30.

18- ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازي، دار علاء الدين ، دمشق ط 1

2000، ج 1 ص 95

19- انظر موقع ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org> اطلع عليه بتاريخ 2020/03/30.

لحق المسلة البازلنية التي نقشت عليها، وحفظ بعضها نتيجة العثور على أجزاء من النقش وجدت في أمكنة أخرى²⁰

"اللغة البابلية واللغة الآشورية لهجتان من اللغة الأكديّة التي سادت في بلاد ما بين النهرين قبل ظهور المملكة البابلية القديمة والمملكة الآشورية القديمة واستطاعت اللغة البابلية التي وصلت في عهد حمورابي إلى مرحلة النضج والكمال الذي يتجلى في قانون حمورابي، أن تسود عالم الشرق القديم، وتغدو لغة الوثائق السياسية والاقتصادية في تلك المناطق نحو ألف عام، إلى أن حلت محلها اللغة الآرامية الشقيقة. أما كتابتها فكانت بالخط المسماري المقطعي الذي طورته ليخدم أغراضها المختلفة"²¹.

أشهر معالم الحضارة البابلية²²

بوابة عشتار:

عشتار هي ربة الحب والحرب في الحضارة البابلية ، وقد عرف اسم عشتار باللغة العبرية بنور الصباح ، والبوابة عبارة عن قلعة تاريخية رائعة ، وتتميز هذه القلعة بالطراز الفخم المميز ، والروعة في التصميم المعماري ، وهي مزينة من الداخل بعدد من التماثيل الرائعة ، وأشكال الخزف الملونة.

حدائق بابل المعلقة:

وقد تم تشييد تلك الحدائق ، في القرن السابع قبل الميلاد ، وقد كان ذلك على يد الملك نبوخذ نصر الثاني ، وحين تم بناء هذه الحدائق كان يهدف إلى إهدائها لزوجته تعبيراً عن حبه لها ، وهذه الحدائق هي إحدى عجائب الدنيا السبع

لوحة التشريعات لحمورابي:

هذه اللوحة تم كتابة التشريعات والقوانين ، الواجب الاستناد عليهم من قبل البابليين ، وقد كانت هذه التشريعات مكتوبة على حجر رخامي ، وعلى رأسها حفر للملك حمورابي وهو يستقي القوانين من الإله.

أسد بابل:

وهو تمثال ضخمة مصنوع من حجر البازلت ، ويظهر التمثال على شكل أسد يقف فوق شخص ، ويرجح أن الأسد تم نحته أيام الحيثيين.

20- ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين ، دمشق ط 1
2000، ج 1 ص 98.

21- انظر موقع ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org>

22- الحضارة البابلية وأشهر معالمها الأثرية، إسراء حسان، موقع المرسال : www.almrsal.com

المحاضرة الرابعة : الحضارة المصرية

"تنتسب قبائل وادي النيل إلى مجموعات إثنية مختلفة، كما تثبت أبحاث تكون الإنسان التي تكشف أن سكان مصر الأولين يضمون جماعات تمت إلى الليبيين، والزنوج وربما إلى قبائل سامية من جنوب فلسطين"²³

"كان فراعنة الأسرتين الثالثة والرابعة فاتحين غزاة...وملوك هاتين الأسرتين شرعوا بأعمال بناء ضخمة، على رأسها الأهرامات التي رتبها اليونانيون مؤخرًا بين عجائب العالم السبع، الأهرامات ق ضرورية رائعة للملوك، مبنية بالكتل الحجرية، أضخمها (قرب قرية الجيزة) بني من أجل خوفو، يبلغ طول القاعدة 230 متر وارتفاعه 146.5 متر ومكون من مليوني حجر زنة الواحد منها 2.5 طنًا، في داخل هذا الصرح العملاق أروقة وقاعات.

كان الأهرام الذي ضم جثمان الفرعون، مخصصًا للطقوس الإلهية التي حسب المعتقدات المصرية، تؤمن بعث الملك ودخوله مقام الآلهة في السماء ، إلى جانب الأهرام تقام المعابد حيث يحي الكهنة احتفالات سحرية"²⁴

خصائص الحضارة المصرية:

الدين:

"يقدم الدين المصري نفس الثنائية التي قدمها الدين البابلي فمن جهة عبادة الآلهة (العظام) والميثولوجيا الملائمة، حيث تتغلغل التأمّلات التي سعى إليها الكهنوت لتدعيم نظام العبودية، ومن جهة أخرى لدينا معطيات حول وجود دين شعبي زراعي بأساطيره واحتفالاته التي ترتبط إلى حد ما بالدين الرسمي"²⁵

"في الدين المصري، يعود دور هام إلى عبادة الفرعون المعتبر صورة حية للشمس وقد كان لهذه العبادة أهمية سياسية عظيمة، تقدس الدولة وتطهر العاهل، وبعد موته يتحد الفرعون المعبود بأوزيرس، ففي النصوص الدينية القديمة المرسومة على جدران الأهرامات يسمى الملك المتوفى "أوزيرس" والتعظيم

23- ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، دمشق ط 1
2000، ج 1 ص 118.

24- الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ج 1 ص 128.

25- الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ج 1 ص 147.

الجنائزية تعلن دوما أن العاهل سيبعث حيا كما الإله، وهكذا خدمت عبادة أوزيرس الفكرة السياسية المركزية في الدين المصري تأليه السلطة الملكية وتقديس الدولة الاستعبادية"²⁶

الكتابة:

"الكتابة التي يسميها اليونان الهيروغليفية (الصور المقدسة) مشتقة من النقر التصويرية للأزمنة البدائية، فأقدم كتابة مصرية كانت نقرا تصويريا، كل شارة مرسومة تمثل مفهوما، وربما جملة قصيرة، ولقد استمرت الكتابة الهيروغليفية في مصر حتى نهاية تاريخها القديم

تعد الكتابة الهيروغليفية المصرية قرابة سبعمئة شارة إجمالا، وفي ملك الأسرتين الأوليتين اكتسب الكثير من الهيروغليف معنى مقطعيًا و 24 حرفًا سميت حروفا صامتة شكلت هذه ال 24 شارة وعشرات أخرى- 70 إجمالاً- أساساً للكتابة المصرية كانت الكتابة إذن معقدة كالمسمارية البابلية"²⁷

الأدب:

"للكتابات في الإمبراطورية القديمة أسس دينية وتحتوي بخاصة نصوصاً سحرية منقوشة على جدران الأهرامات، الأقبية والقبور، بجنب الاعتقاد أنهم منذ ذلك العهد رتبت وكتبت طقوس الأسرار التي تلعب في أعياد أوزيرس والآلهة الأخرى والألحان على شرف كبار الآلهة، تعود النصوص والألحان التي وصلتنا إلى الإمبراطورية الجديدة، يدبج كهنة المعابد الرئيسية نصوصاً لاهوتية تعرض نظريات نسب الآلهة وتشكل الكون، لمدارس متخصصة مختلفة"²⁸

المحاضرة الخامسة: الحضارة الفنيقية

"هذه التسمية التي اختارها المؤرخون الإغريق لم يعرفها السكان الأصليون كان أجدادهم يسكنون حتى الألف الثالثة جنوب وغرب فلسطين، وكانوا عدة قبائل تتكلم لغات سامية، وفي الألف الثالثة بدأوا تقدمهم نحو الشمال على طول شاطئ البحر الأبيض المتوسط"²⁹

26- ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ج 1 ص 148.

27- الحضارات القديمة، ج 1 ص 149.

28- الحضارات القديمة، ج 1 ص 150.

29- ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، دارعلاء الدين، دمشق ط 1
2000، ج 1 ص 165.

تدل المكتشفات في أوغاريت وجبيل أن الفنيقيين خلقوا حضارة أصلية في كل المجالات: الدين، الكتابة، الآداب والفن.

الدين:

"إن الدين الفنيقي، ككل أديان الشرق القديم يتميز بتعايش العبادة الرسمية والعبادة الشعبية، الزراعية، ولكل دولة آلهتها الرسمية، بعل وبعلات، سيد وسيدة المدينة، أو المملكة، وفي جبيل كان أدونيس واستارتيه وفي أغاريت، آليين وآنييت... وكان ثمة آلهة آخرون يلتقي دين الدوبة ودين الشعب في نقطة عبادة آلهة النبات والخصب البعل والبعلات في كل مملكة"³⁰

الأدب:

"كان الأدب الفنيقي يؤثر معالجة الموضوعات الاجتماعية الميثولوجية، فنصوص أوغاريت تصف موت آليين، نزوله إلى المملكة السفلى لموت (MOT) بعثه وعودته إلى الأرض، مجيئه وبناء معبد لمجده"³¹

الكتابة:

"إن أحد أهم نجاحات الحضارة الفنيقية هو إبداع الكتابة الأبجدية ، وتطور الإبحار والتجارة أوجب كتابة مناسبة سهلة، أبسط من المسمارية والهيروغليفية، وفي الألف الثانية قبل الميلاد تشكلت الكتابة الأبجدية كما يبدو بالموازاة مع مختلف المدن. ففي الشمال في أوغاريت بنيت الكتابة على المسمارية، بينما أخذوا في النوبة نموذج الهيروغليف المصري الذي يبرز الصوت أو الرنة أو اللحن، واستخدمت الحروف الفنيقية بدورها في تأسيس الأبجدية الإغريقية، الآرامية، اللاتينية، الروسية..."³²

المحاضرة السادسة: الحضارة الآشورية

"سميت آشوريا منطقة شمال ميزوبوتاميا، الواقعة على مجرى دجلة الأوسط في شمال العراق الحالي، بشروطها الطبيعية، تتميز آشوريا بوضوح عن ميزوبوتاميا السفلى يبتعد هنا دجلة عن الفرات مسافة تتراوح بين 300-400 كم... وآشوريا أول عاصمة للبلاد... وكانت آشور على دجلة إلى شمال بابل بـ 350 كم وجدت فيها منحوتات ونقوش هامة، خاصة منحوتة لملك آشور شمشي-أداد معاصر حمورابي، الذي

30- الحضارات القديمة، ج 1 ص 169.

31- الحضارات القديمة، ج 1 ص 170.

32- الحضارات القديمة ج 1 ص 170.

يحكي عن إنشاء معبد يوقف لإله آشور، ومنذ الألف الثالثة عقدت المدينة علاقات تجارية مع المنطقة المجاورة لكابودوسيا "Cappodoce"³³

خصائص الحضارة الآشورية:

الكتابة:

"كانت كتابة دين وأدب آشوريا تكرر أو اشتقاقا خفيفا من العناصر البابلية، والسمات الأصلية لا تظهر إلا في الفنون التشكيلية في أوج ازدهار الإمبراطورية"³⁴.

"كان الملوك المنتصرون يصرون على تأييد ذكرى انتصاراتهم بنقوش صخرية حيث دارت المعارك وتمت الغزوات، ويصفون مآثرهم على جدران وأبواب القصور وعلى الآثار التذكارية. إن هذه النصوص المكتوبة بأسلوب فخم تمجيدي، بصيغ وعبارات مقدسة، هي بالنسبة لنا المصدر الرئيس لتاريخ الدولة العسكري الآشوري"³⁵

الدين:

"الآلهة هم أنفسهم آلهم بابل...ويقوم الكهنة الآشوريون الطقوس المعروفة في بابل، آشور بانبال يجمع في قصره بنينيف كل الأعمال الأدبية البابلية، منها قصيدة "المجد لله في العلى...الأناشيد والنصوص السحرية البابلية في العبادة"³⁶.

المحاضرة السابعة: الحضارة الفارسية (إيران):

"تقع الأرض التي بنيت عليها أول دولة من القبائل الإيرانية في شرق ما بين النهرين-ميزوبوتاميا وهضبة إيران التي تشغل منها القسم الأكبر، تحدها من الغرب سلسلة جبال زاغروس، وشمالا البحر الكاسبيني Caspienne وجنوبا الخليج العربي، وشرقا تمتد حتى الهند، والجبال التي تحيط بالهضبة من كل جهة،

33- ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، دارعلاء الدين، دمشق ط 1
2000، ج 1 ص 179

34- الحضارات القديمة، ج 1 ص 188.

35- الحضارات القديمة، ج 1 ص 188.

36- الحضارات القديمة، ج 1 ص 188.

بأنهارها المندفعة ووديانها الجميلة وغاباتها الغنية الوافرة، توفر أراض صالحة للزراعة وتربية المواشي والطيور، الأمر الذي حدد العبور المبكر إلى عالم حياة الاستقرار..."³⁷

خصائص الحضارة الإيرانية:

"كمصادر لدراسة دين شعوب آسيا الوسطى وإيران، لدينا الكتاب المقدس أفستا Avesta وكتابات هيرودوت وبلوتارك وبعض الكتابات المنقوشة عن أيام أشمنيد، كان الدين الإيراني يعكس عز الإنسان في صراعه مع الطبيعة، وكانت القبائل تعبد الحيوانات المقدسة، مثلاً الكلب، الثور، إن هذا النوع من العبادة التي يمارسها الإيرانيون والشعوب الأخرى هي بقايا من الطوطمية، أما الآلهة الرئيسيون، كانت تجسد قوى الطبيعة وكانت العبادات الأكثر انتشاراً هي الأرض، السماء، النار هذه الأخيرة مرتبطة بمتانة بعبادة القبائل الإيرانية لأحوراما زادا (أرموزد بالإغريقية)"³⁸

"استناداً إلى الآثار والنقوش والمنحوتات لنماذج العمارة الرائعة الواصلة إلينا، مثل أطلال القصر الملكي في سوز والقاعة ذات المائة عمود في قصر برسبوليس تدل أن هذا الفن كان يستلهم أعمال شعوب أرقى، غزاها الفرس، مثلاً فكرة القصر ذي المائة عمود مقتبسة من مصر، وطفن قناطر سوز- من آشوريا، قصر على أرض منبسطة وتزينها بالنقوش والزخارف من آسيا الوسطى. لكنه بمجمله فن أصيل له شخصيته الخاصة ومحياه المتميز، ومدونات درابوس الأول- النحتية أو الكتابية تقص أنها بنيت بيد الأسرى الأيونيين، المصريين، الليديين وسواهم"³⁹

المحاضرة الثامنة: الحضارة الهندية

"تقع الهند في آسيا الجنوبية، تقسم إلى منطقتين واضحتين: الشمال والجنوب. تشغل الأولى شبه جزيرة ديكان (هندوستان) وتقع الثانية في اليااسة. تنفصل الهند عن البلدان الأخرى بجمال منها همالايا، أعلى سلسلة في العالم، وبالبحار التي تعرقل اتصالها بالشعوب الأخرى"⁴⁰.

خصائص الحضارة الهندية:

-
- 37- ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، دمشق ط 1 2000، ج 1 ص 195.
- 38- الحضارات القديمة، ج 1 ص 205.
- 39- الحضارات القديمة، ج 1 ص 205.
- 40- ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، دمشق ط 1 2000، ج 1 ص 209.

تشير الدراسات أن مصادر التوثيق للحضارة الهندية هو "مدونات وبخاصة نصوص استلهام ديني(الفيدا) وقصائد ملحمية (ماهاها راتا وراماينا)..."⁴¹

"إننا مدينون لشعوب الهند مساهمتهم الجليلة في الحضارة العالمية، فقد أعطى علماء الرياضيات العالم نهج كتابة أعداد مقبولة بعامة حتى اليوم كذلك بعض الأرقام (بخاصة الصفر) التي اقتبسوها من شعوب الشرق الأدنى والمعروفة في أوروبا بصيغة لا تتغير وباسم "أرقام عربية"..."⁴²

الكتابة:

"لقد ابتكر سكان الهند القدماء الكتابة التي تشكل الأساس للشكل الخطي لدى أكثر شعوب الهند الحاليين ومنذ القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وضع عالم النحو والصرف البانيي أسس علم اللغة، المجال الذي قدم فيه الهنود نتائج ضخمة"⁴³.

الأدب:

"أدب الهند القديمة غني ومتنوع وفي القرن الأول بعد الميلاد كتبوا بالسندسكريتية، لغة أدب الهند متعددة الشعوب مهارتا وراماينا، قصائد ملحمية تقص مآثر الأبطال وتتضمن العديد من الخرافات القديمة جدا، تستلهم شعراء وفناني الأجيال السابقة، ومنذ زمن قديم أو بعدئذ ربما أدركوا ودبجوا لأول مرة قوانين، أشهرها ذلك المسى قانون مانو | Manou نسبها كاتبها لسلف خيالي، مقولات في مختلف فروع العلم تعيش حتى اليوم اللغة الشاحبة المستخدمة في كتابة الأعمال الأساسية للأدب البوذي"⁴⁴

المحاضرة التاسعة: الحضارة الصينية

"إن الأرض التي رأت ولادة حضارة الصين تمتد على طول وادي هوانغ- هو في مجراه الأوسط والأدنى فمنذ 4000 عام كان سهلا وحيد الشكل، محدودا من الجنوب بالجبال ومن الشمال الغربي بهضبة أورودوس Orodos كانت تربته الغنية بالطبي شديدة الخصوبة كثيرة المستنقعات تشقها الأنهار وتغطيها الغابات الكثيفة العذراء في الشمال، وفي الشمال الغربي كانت تنبسط سهوب منغوليا القاحلة، وفي الجنوب،

41- الحضارات القديمة، ج 1 ص 221.

42- الحضارات القديمة، ج 1 ص 221.

43- الحضارات القديمة، ج 1 ص 221.

44- الحضارات القديمة، ج 1 ص 221.

خلف وادي يانغ-تسو-كيانغ، تبدأ المنطقة الجبلية والحراجية للصين الجنوبية، نتيجة هذا بقي الصينيون القدماء آلاف السنين معزولين عن مواطن الحضارة القديمة"⁴⁵

خصائص الحضارة الصينية:

الكتابة:

"يعود ابتكار الكتابة الصينية إلى أقدم القدم، وفي النصوص المرسومة على العظام (في الألف الثانية قبل الميلاد) عند البعثة أكثر من 200 هيروغليفية، هذا يعني أن الكتابة كانت قد ولدت قبل هذا التاريخ بكثير... وقد حفظت رسومات نقشية بدائية باعتباره تساوي كلمات مثل الهيروغليفيات "رجل" "ابن" "امرأة" "شجرة" "علو" "أسفل" ... إلخ وترتيب الهيروغليفيات البسيطة سمح أن نشكل منها هيروغليفيات أخرى"⁴⁶

الأدب:

"لقد حافظت الأعمال الأدبية التي وصلتنا على نصاعتها، ففي القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد، عاش شاعر الصين العظيم كيو-إيوان، وكان رجل دولة شهيراً... تحدث في كتبه حول وطنه وحول رحمة وتسامح الناس في أيام الكره والظلم، كما قدر... عالياً التواصل العميق مع تقاليد القصيدة الشعبية، ووثق بعمق بقوى الشعب، ومع تهكمه اللاذع والحزن العميق تتجلى مع ذلك رنة متفائلة... إن السيرة الشخصية الرسمية لكبار رجال الصين تأخذ غالباً في أعمالهم شكل القصص المقتبسة من الدرامية التي تدهش بالملح والنوادر، وقيمتها الوثائقية التي تشبه الحوارات المبتكرة لصحة التسلسل التاريخي للأحداث"⁴⁷

المحاضرة العاشرة: الحضارة اليونانية:

تميّزت فترة الحضارة اليونانية بالكثير من الإنجازات في مختلف المجالات العلميّة، والفنيّة، والسياسيّة، والفلسفيّة، ممّا ترك إرثاً مميزاً للحضارة الغربيّة

45- الحضارات القديمة، ج 1 ص 226.

46- الحضارات القديمة، ج 1 ص 242.

47- الحضارات القديمة، ج 1 ص 244.

تحدثنا المصادر التاريخية في التوثيق للحضارة اليونانية عن شخصية (هيروودوت) (حوالي 484-425) الذي ولد في هليكرناس Halicarnasse آنذ التي صارت أثينا المنتصرة على الفرس، المركز الاقتصادي والسياسي والثقافي للكيان البحري العظيم الذي يسيطر على شرق البحر الأبيض المتوسط (والتي يسميها وطنه الثاني) يتضمن عمل هيروودوت تسعة كتب، تخص الثلاثة الأولى تاريخ شعوب آسيا الوسطى، الفرس، آشوريا، مصر، والبلدان المجاورة، يصف الكتاب الرابع سيثيا Seythie (المكان الضيق) وكل معلومات قيمة عن الهيلاد Hellade (الأقاليم الوسطى في اليونان القديمة) وخصصت الكتب الباقية (من 5 إلى 9) للحروب، للحروب، غالبا ما تكون كتابات هيروودوت ساذجة، يؤمن بتدخل الآلهة في شؤون الناس ويقدم الأساطير والخرافات كأحداث تاريخية، لكنه من جهة أخرى يسعى إلى تعليل هذه الأحداث وأعمال البشر بعقل معقولة وطبيعية، فضلا عن هذا يطرح أحيانا قضايا نظرية عامة حول ارتقاء الدولة والمجتمع... وكتابه منهل هام في دراسة الحياة السياسية والثقافية لليونان في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد⁴⁸

خصائص الحضارة اليونانية

الأدب:

"تشغل الإلياذة والأوديسة أحد أهم الأمكنة في الأدب العالمي... ويرى أغلب الأخصائيين أن القصيدتين كتبتا... بقلم كاتب نابغة (هوميروس) في نهاية القرن 9 أو بداية القرن 8 قبل الميلاد... تعكس إشعار هوميروس عدة قرون من حياة اليونان القديمة، نقرأ فيها بخاصة (الإلياذة) قصص أحداث، نماذج ومشاهد حول حرب طروادة أو بالضبط أحد فصولها الأخيرة، الهزيمة الساحقة التي ألحقها الآشيون بالمدافعين عن طروادة العظيمة... وتشير الأوديسة إلى عودة أبطال طروادة، وإلى الحياة اليومية لزمّن السلم"⁴⁹

48- ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، دمشق ط1

2000، ج 1 ص 246.

49- الحضارات القديمة، ج 1 ص 274.

الفلسفة في الحضارة اليونانية أُخذ لفظ الفلسفة (بالإنجليزية Philosophy) من كلمة يونانية هي "philosophia" تتكوّن من مقطعين: المقطع الأول (philos) ويعني حُب، والمقطع الثاني (sophia) ويعني الحكمة، فهي حرفياً تعني حب الحكمة، ويُستدل من كلمة حُب على الاهتمام بالشيء أو الولع به، فهي تدل على منح قيمة للشيء، فأَيّ شخص يُحب الحكمة فإنّه يسعى لشيء يستحق السعي، فالفيلسوف وفقاً لليونانيين القدماء هو الشخص الذي يُحب الحكمة ويسعى للحصول على المعرفة الشاملة. [٨] يُمكن تقسيم الفلسفة اليونانية القديمة إلى فترتين هما فترة ما قبل سقراط وفترة ما بعد سقراط؛ وذلك بسبب أهمية شخصيّة سقراط وغموضها في نفس الوقت، فقد أثّر في فلسفة كلّ من أرسطو وأفلاطون اللذين لاقى فلسفتهم أهميّة ورواجاً لمُدّة تصل إلى 2500 سنة، [٩] كما تميّزت الحضارة اليونانية بوجود عدد الكبير من الفلاسفة، وقد كان لمعظمهم أفكار فلسفيّة مميّزة، إلّا أنّ بعضهم استطاع الموازنة بين أفكاره الفلسفيّة حول العلوم الطبيعيّة البدائيّة والتطبيق الأخلاقي للقيم الفلسفيّة، ممّا جعلهم يتميّزون حتّى الوقت الحالي، ومن أهم فلاسفة اليونان ما يأتي:

- طاليس الملطي (620 ق.م - 546 ق.م)
- بارمينيدس (560 ق.م - 510 ق.م)
- أناكساغوراس (500 ق.م - 428 ق.م)
- أناكسيماندر (610 ق.م - 546 ق.م)
- أمبادوقليس (490 ق.م - 430 ق.م)
- زينو (490 ق.م - 430 ق.م)
- فيثاغورس (570 ق.م - 495 ق.م)
- سقراط (469 ق.م - 399 ق.م)
- أفلاطون (427 ق.م - 347 ق.م)
- أرسطو (384 ق.م - 322 ق.م)

الحضارة الرومانية

" حضارة تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، حيث إنَّها كانت قويَّةً لدرجة أنَّها سيطرت على المنطقة المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط الحالي، وقد حُكم الرومان في وقت مبكر من قبل ملوك استولوا على السلطة، ثمَّ تحوَّلت المملكة إلى جمهورية بعد أن تمَّ حكم روما من قبل سبعة ملوك، وشهدت روما العديد من التقلُّبات بين صعود وسقوط الأباطرة الأقوياء؛ كيوليوس قيصر، وأغسطس، وقد برز في الحضارة الرومانية العديد من السياسيين، ورجال الدولة، والجنود، والكتَّاب، ولا تزال بصمة تلك الحضارة واضحةً في أوروبا، حيث لا تزال الآثار الرومانية الكلاسيكية قائمة حتى الآن، وتُعدُّ مصدر جذب رئيسي للسياح"⁵¹

"استمرَّت لمدة خمسة قرون بعد استبدال الملوك الحاكمين، وقد توسَّعت السيادة الرومانية عبر البحر المتوسط ونشأت الإمبراطورية الرومانية وأصبح حاكمها يُلقَّب بالإمبراطور بعد حكم أغسطس الذي توفي في القرن الرابع عشر، واستمرَّت توسَّع روما حتى حكمت معظم غرب وجنوب أوروبا، وشمال إفريقيا، وأجزاء من الشرق الأوسط، حيث أصبحت النقطة المحورية للثقافة الغنيَّة، وتمَّ إنفاق مبالغ مالية كبيرة على المباني، وتضخَّمت الإمبراطورية سكانياً حيث بلغ عدد سكانها حوالي مليون شخص، وكانوا يعتمدون في معيشتهم على الحبوب وقنوات المياه... قام الإمبراطور قسطنطين في فترة حكمه لروما بإحداث تغييرات أثَّرت عليها في القرن الرابع الميلادي، حيث إنَّه اعتنق المسيحية وبدأ ببناء المعابد، كما قام بتغيير شكل المدينة ووظيفتها، وبني عاصمة الإمبراطورية وهي مدينة القسطنطينية شرق روما؛ وذلك لأنَّ أعمال حكام روما كانت تتركز في النصف الشرقي من الإمبراطورية"⁵²

المحاضرة الحادي عشر: الحضارة العربية الإسلامية

العرب قبل مجيء الإسلام

- الممالك في شبه الجزيرة العربية:

"تقع شبه الجزيرة العربية في جنوب غرب آسيا، يحدها من الشمال الشام وشرقا العراق والخليج العربي، ومن الجنوب البحر العربي (المحيط الهندي) وغربا مضيق باب المندب، والبحر الأحمر، وخليج العقبة، وصحراء سيناء

51- الحضارة الرومانية، روان وجيه نجار، موقع موضوع.كوم <https://mawdoo3.com>

52- الحضارة الرومانية، روان وجيه نجار، موقع موضوع.كوم <https://mawdoo3.com>

وسكان شبه الجزيرة العربية هم ساميون نسبة إلى سام بن نوح وأبناء نوح هم (سام، حام، يافث) وقد تفرقوا بعد حادثة الطوفان التي أشار عليها القرآن الكريم، فسار حام إلى الغرب، ويافث إلى الشرق، وسام إلى الجنوب، فالراجح بأن شبه الجزيرة العربية هي موطن الساميين الأصلي⁵³

- أهم الممالك العربية القديمة⁵⁴:

ظهرت بشبه الجزيرة العربية عدة ممالك جنوباً وشمالاً وفي الوسط

دول اليمن أو الجنوب: وأهم الدول التي ظهرت في اليمن

دولة المعينيين: حكموا من سنة 3000 ق.م إلى سنة 1000 ق.م ووصل نفوذهم إلى فلسطين والعراق وكان لهم عاصمتان سياسية تسمى (معين) ودينية تسمى (بيثل) وكلتا المدينتين قرب صنعاء.

الدولة السبئية: من 1000 ق.م إلى 150 ق.م واتخذوا مدينة مأرب عاصمة لدولتهم. ومن أشهر ملوكهم "سبأ" مؤسس الدولة و"بلقيس" ملكة سبأ التي قص القرآن الكريم قصتها.

دولة حمير: من سنة 150 ق.م إلى 525 م استطاع العرب خلالها تأسيس منطقة نفوذ بالحبشة وشيدوا فيها حضارة ذات طابع يمني.

الممالك العربية في الشمال: معظم هذه الممالك أسسها العرب الذين هاجروا من جنوب الجزيرة العربية

- الأنباط: من 500 ق.م إلى 106 م تأسست في أقصى الجنوب من شرق الأردن حالياً وكانت عاصمتهم تسمى البتراء

- تدمر: وهي دولة عزيمة أسستها القبائل المهاجرة من كنعان وأسسوا بها مدينة تدمر (سوريا)

- المناذرة: بعد تصدع سد مأرب هاجرت جماعة إلى الشمال واستوطنت "الحيرة" فعرفت بالمناذرة

- الغساسنة: من العرب الذين هاجروا من الجنوب واستقروا في مكان يعرف بـ"بئر غسان" في شرق الأردن لذلك عرفوا بالغساسنة.

دول الوسط:

53- محاضرات في مقياس الحضارة الإنسانية، د إسماعيل سيوكر، ص 51

54- محاضرات في مقياس الحضارة الإنسانية، د إسماعيل سيوكر، ص 56/53

- دولة الكنديين: كانت بمثابة الحاجز بين اليمن في الجنوب والمناذرة في الشمال خاضت العديد من الحروب إلى أن سقطت وعجز امرؤ القيس الشاعر المعروف عن استعادة ملك أبيه
- مدن الحجاز: أهمها مكة المكرمة التي بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام وكان هو أول من نزل بها مع زوجه هاجر وولدهما إسماعيل عليه السلام، انتقلت رئاسة مكة للعهد من القبائل قبل أن تستقر عند قريش ثم تصبح عاصمة للمسلمين بعد الفتح الإسلامي لمكة، أما يثرب، أو المدينة المنورة كانت تتنازع السلطة فيها ثلاث فئات وهم: اليهود، الأوس، الخزرج ولما هاجر النبي -ص- إليها توحدت كلمة العرب وأصبحت العاصمة السياسية إلى أن اتخذ معاوية دمشق عاصمة له.

الحضارة العربية الإسلامية:

إذا كان الشطر الأول من العصور الوسطى-بين نهاية القرن الخامس ونهاية القرن العاشر للميلاد- قد أطلق عليه في الكتابات الأوروبية اسم "العصور المظلمة" فإن نفس الفترة تمثل عصور النور والازدهار في العالم الإسلامي، مشرقه ومغرب... في ذلك الوقت بالذات ظهر الإسلام في أوائل القرن السابع للميلاد، ليقترن مولده وانتشاره بأعظم حضارة عرفها العالم أجمع طوال العصور الوسطى⁵⁵

يرى الفيلسوف أشينجلر "أن حضارات الشرق الأوسط جميعها مدينة للحضارة العربية عدا الحضارة الفرعونية، وأنها تتصف بأبعاد الطول والعرض والعمق، ويرى أن العرب لم يستعمروا البلدان التي فتحوها بل استعادوا بكل بساطة جميع بلادهم وحرروها من غير الأجانب والأغراب وهو يقول: "هذا وحده كاف لأن يشرح الآن سر الحياة الجبارة التي انطلقت بها الحضارة العربية عندما تحررت من قيود الغنى ومن الأغلال الأخرى لتنتشر بظلالها فوق كل الأقطار التي كانت باطنا ملكا لها قبل قرون وقرون من انطلاقها الجبار"⁵⁶

لقد قامت الحضارة العربية الإسلامية على دعامتين كبيرتين: هما الإسلام والعروبة، فالعروبة يرتبط بمعناها الكبير بلك الأصول التي أمدت هذه الحضارة بكثير من جذورها وروافدها، وحسب هذه الحضارة أنها اتخذت من اللغة العربية أداة مرنة طيعة عبرت بها عن نفسها وروحها وأفكارها... ولولا رسالة الإسلام ما كان للعرب ولا للغتهم أن ينتشروا هذا الانتشار الواسع، ولا أن يحققوا ذلك النجاح الراسخ، ولظل العرب ولغتهم نسيا منسيا في ركن شبه مجهول من أركان العالم المعاصر"⁵⁷

55- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، ص9

56- تاريخ الحضارة الإسلامية، عبد الحسين مهدي الرحيم، ص29

57- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، ص11، 12

ورغم ما تميزت به الحضارة الإسلامية طيلة القرون السابقة من تقدم ورفي وازدهار، إلا أننا اليوم في عالمنا الإسلامي نقف عند مفترق طرق خطير، بين باكين على مجد أدبروولي، وبين مشككين في ماض وحاضر ومستقبل، وبين مفتونين بحضارة الغرب في عصرنا الحاضر.

ومهما يكن من أمر ومهما شكك المشككون ودافع المحقون فإن الحضارة الإسلامية تميزت بمجموعة من الخصائص ميزتها عن غيرها من الحضارات الأخرى يمكن أن نجملها فيما يلي:

- ✓ إنها حضارة إيمان: تؤمن بالله ورسالاته وأنبيائه عليهم السلام، فقد قامت على توحيد الله وعبوديته، فهي حضارة إيمان وعمل وإنتاج (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).
- ✓ إنها حضارة تقدمية، لا جمود فيها ولا رجعية، فقد جاءت ثورة ضد الظلم والاستغلال والجمود والنكوص، تأخذ بكل جديد طالما أن هذا الجديد لا يتعارض مع روح الإسلام ومُثُلُه وآدابه
- ✓ تتصف بالمرونة وسعة الأفق، فلم تكن منغلقة على نفسها، بل تعاملت مع بقية الحضارات الأخرى وأخذت منها من العلوم ما يفيدها ويتماشى وروح الإسلام، ورفضت كل ما لا يتفق ومبادئها.
- ✓ أنها حضارة محبة وسلام، توفر الأمن والسلام لكل فرد في نفسه وعرضه وماله وأهله، فعاش الناس في ظلها حياة الأمن والسعادة، فساد في ربوع العالم الإسلامي السلام، وأمن التجار والمسافرون من الحجاج وغيرهم على أنفسهم وأموالهم ومتاجرهم.
- ✓ أنها حضارة تسامح، لا حقد فيها، ولا كراهية (ونزعنا ما في قلوبهم من غل إخوانا على سرر متقابلين)، فقد عاش في ظلها المسلم والذمي، لكل حقوقه وواجباته، دون اعتداء على الحريات العامة للأفراد والجماعات، فقد وُلدت هذه الحضارة في وقت كان المسيحي يقتل أخاه لاختلافه معه في المذهب الديني، وكان اليهودي يتعرض في أوروبا للاضطهاد والقتل.
- ✓ إنها حضارة تتصف بالحيوية والاستمرار والوحدة: فقد ظلت حية قائمة ولم تمت مطلقاً، وإن تعرضت للذبول أحياناً نتيجة لعوامل طارئة، ولكنها سرعان ما تقوم وتعود أقوى عوداً وأشدّ تماسكاً من قبل.
- ✓ إنها حضارة إنسانية بكل معاني الكلمة، هدفها خير الإنسان في الدنيا والآخرة، والرحمة به، والحفاظ عن كرامته، والنهوض بمستواه الفكري والاقتصادي والاجتماعي والروحي، ومنع استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وأن الله كرمه على سائر المخلوقات (ولقد كرمنا بني آدم).

✓ تتصف الحضارة الإسلامية بالأمانة المطلقة، فقد استفادت من علوم حضارات سابقة، ولم تدَّعِ في يوم من الأيام، أنها هي التي اكتشفت ذلك العلم ، وإنما استفادت من علوم الحضارات السابقة ونسبت ذلك لأصحابها.

إن الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية بمعنى أنها ملائمة لفطرة الإنسان وخصائصه المتعددة ومسيرة لتطوعاته وقادرة على تلبية حاجاته، والإنسان في نظر الإسلام كائن حي خلقه الله تعالى واختاره بين المخلوقات جميعا ليكون خليفة الله في أرضه لأنه مؤهل للتكليف الإلهي والمسؤولية، وكان من تمام رحمته تعالى أن لم يترك الإنسان في هذه الحياة يسير على هوى بل أرسل إليه الرسل لتصحيح مسيرته في الحياة وقد اكتملت تلك الرسائل بالإسلام⁵⁹

المحاضرة الثالثة عشر: روافد الحضارة العربية الإسلامية

أولا : القرآن الكريم وعلومه⁶⁰

يُعد القرآن الكريم منهج حياة كامل متكامل، وحجر الزاوية في بناء أعظم حضارية كبرى عرفتها البشرية. (إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ، (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد). وللقرآن الكريم أكثر من خمسين اسما منها الكتاب، ومنها الفرقان، ومنها الذكر، ومنها التنزيل (تبارك الذي نزل الفرقان ..)، (ذلك الكتاب لا ريب فيه)، (إنا نحن نزلنا الذكر) ، (تنزيل من رب العالمين). كما له عدة أوصاف منها كريم (إنه لقرآن كريم)، ومبارك (وهذا كتاب مبارك)

أ - نزول القرآن الكريم.

نزل القرآن الكريم على مرحلتين :

- نزل كاملا إلى السماء الدنيا في ليلة القدر (إنا أنزلناه في ليلة القدر)، (إنا أنزلناه في ليلة مباركة).
- ثم نزل منجما أو مفرقا على امتداد واحد وعشرين عاما على قلب النبي صلى الله عليه وسلم حسب المناسبات والأحوال، وفي هذا رد على اليهود والمشركين الذين قالوا لماذا لم ينزل القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة، فرد عليهم القرآن بقوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)، ويمكن أن نجمل أسباب نزول القرآن الكريم منجما في النقاط الآتية:
- أقوى أثر في تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم.

59- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، عبد الحسين مهدي الرحيم، 37

60- ينظر: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص 26/27

- تيسير حفظه على الناس وعلى النبي صلى الله عليه وسلم (ولقد يسرنا القرآن للذكر)

- الإجابة عن أسئلة الصحابة ومشركي قريش (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس)، (يسألونك عن ذي القرنين، يسألونك عن الروح، يسألونك عن الأنفال، يسألونك عن المحيض.....)

ب - جمع القرآن الكريم⁶¹.

كلف الرسول -صلى الله عليه وسلم- مجموعة من الصحابة بكتابة القرآن المنزل عليه من رب العالمين، وكان يُطلق عليه كتاب الوحي، ومن هؤلاء الكتبة زيد بن ثابت، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب وغيرهم، فكانوا يكتبون كل سورة أو آية أو آيات نزلت عليه صلى الله عليه وسلم على الجلود، وجريد النخيل، ورقائق الحجارة المصقولة وغيرها. وظلت سور القرآن الكريم وآياته مبعثرة في أكثر من مكان وعند أكثر من واحد من الكتبة.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واكتمال نزول القرآن (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)، وفي حروب الردة بالذات في أرض اليمامة مع مسيلمة الكذاب، استفحل القتل في صفوف الصحابة من حفظة القرآن الكريم، حيث استشهد منهم حوالي سبعون صحابياً، وخاف عمر بن الخطاب من أن يتبدد القرآن. فطلب من أبي بكر جمعه، ولكن أبا بكر رفض في أول الأمر وقال كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن عمر بن الخطاب استطاع إقناع أبي بكر بأهمية هذا العمل، فكلف أبو بكر زيد بن ثابت بهذه المهمة، وأمره بتتبع القرآن وجمعه. فقام زيد بن ثابت بأمرين أساسيين هما:

1: جمع ما كان دُونَ من القرآن الكريم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي كانت محفوظة عند كتبة الوحي.

2: تدوين ما كان تلقاه الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وظل محفوظاً في صدورهم ولم يُدَوَّن حتى ذلك الوقت. فهناك كثير من الآيات وبعض السور التي لم تكتب في عهده صلى الله عليه وسلم وإنما حُفظت في صدور الصحابة.

وبعد جمعه وترتيبه وكتابه ما لم يُكتب من قبل حُفظ عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم انتقلت صحف القرآن إلى عمر بن الخطاب، ثم إلى حفصة بنت عمر.

61- ينظر: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص 31/28

ويُقال أن علي بن أبي طالب حاول جمع القرآن الكريم في بداية خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وذلك عندما جلس في بيته، فظن البعض أنه كره خلافة أبي بكر، فاستفسر منه أبو بكر عن هذا الأمر فرد عليه علي رضي الله عنه : رأيت كتاب الله يُزاد فيه، فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه.

ثم جاء عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقدم عليه حذيفة بن اليمان من الشام، وقد لاحظ اختلاف الناس في قراءة القرآن فأقرعه ذلك، وقال يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة يطلب المصحف ننسخها في المصحف ونردها إليك، فأرسلتها إليه، وكلف مجموعة من الصحابة منهم زيد بن ثابت وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأمرهم بنسخ نسخ من المصحف، وبعد الانتهاء من نسخ النسخ أعاد الأصل لحفصة وأرسل لكل مصر من الأمصار نسخة وأمر عماله على الأمصار بإحراق المصاحف الأخرى، حتى يُوجد الأمة على مصحف واحد .

ج : علم القراءات⁶²

أدى انتشار الإسلام في الأمصار إلى تباين في نطق بعض الألفاظ، مع عدم الإخلال بالمعنى، وحتى لا تتسع الهوة وتمتد يد البدعة إلى قراءات القرآن، اختير سبعة من أئمة القراء المشهورين بالثقة في مختلف الأمصار، كلهم من أهل العلم والدراية، ومشهود لهم بالأمانة، واعتُبرت قراءاتهم من القراءات الصحيحة والسليمة وهؤلاء القراء هم : ابن عامر (118هـ)، ابن كثير (120هـ)، عاصم بن أبي النجود (127هـ)، نافع بن عبد الرحمن (169هـ)، أبو عمرو البصري (154هـ)، حمزة بن حبيب الكوفي (154هـ)، أبو الحسن علي الكسائي (189هـ). ثم زيدت ثلاث قراءات أخرى ولكنها موضع جدل وخلاف بين القراء، ثم ألحق بالقراءات السابقة أربع قراءات أخرى أجمع القراء على شذوذها.

وانتشرت القراءات السابقة في مختلف الأمصار، ومخافة أن تتسرب بعض الأخطاء في القراءات السابقة، خاصة ممن لا يتقن القراءة جيداً، وضع ابن الجزري مقاييس للقراءة الصحيحة في كتابه المشهور (النشر في القراءات العشر) وضع فيه ثلاثة شروط للقراءة القرآنية الصحيحة وهي:

- موافقة العربية ولو بوجه.
- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.
- صحة سند الرواية.

وقد وضّح ابن الجزري أن التباين في القراءات أمر لم يخل من فوائد ، وقد لخص هذه الفوائد

في ما يلي :

- التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة.
- أن هذا التباين يدل على قوة البلاغة وكمال الإعجاز وجمال البيان.
- عظيم البرهان، لأنه مع كثرة التباين وتنوع القراءات لم يحدث خلل في المعنى، أو تناقض في المفاهيم، وإنما تختلف القراءات والمعنى واحد.
- يؤدي هذا التباين في القراءات إلى سهولة حفظ القرآن وتيسير نقله على هذه الأمة.

ثانيا : الحديث النبوي الشريف

والحديث هو ما أُرث عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وله أهمية كبيرة في حياة المسلمين لأنه يمثل تراث نبهم عليه الصلاة والسلام، فقد جاء شارحا لما أُجمل في القرآن، وقد عرضت للرسول صلى الله عليه وسلم مسائل تصرف فيها، ومشاكل حلها أسئلة أجاب عنها، مما جعل منها جميعا سوابق وأحكام يأخذ بها المسلمون ويقيسون عليها ما يستجد في مجتمعهم من مسائل مشابهة وحسب الحديث قول الله عز وجل " لقد كان لكم في رسول الله سنة "

وإذا كان القرآن الكريم حفظ في الصدور والسطور وكتب على عهد رسول الله -ص- فالأمر يختلف بالنسبة للحديث النبوي لأنه لم يدون في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يختلط بالقرآن الكريم ، بل قد نهى عليه الصلاة والسلام عن كتابته فقال (لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فيمحه وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار). وهكذا نهى رسول الله-ص- عن تدوين الحديث في الوقت الذي اتخذ كتابا يدونون ما ينزل على قلبه من القرآن، مما أدى -عند وفاة رسول الله-ص- إلى وجود كتاب مدون وهو القرآن الكريم، وأحاديث غير مدونة أثرت عن رسول الله-ص- تروى شفاهها وحفظت في صدور الرجال⁶³

وبعد توسع الدولة الإسلامية واتساع انتشارها وظهور الفرق الإسلامية" اختلق البعض الأحاديث لتدعيم وجهة نظره ومعتقدده وقد ساعد على ذلك ظروف الخلافة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي من ابتعادهم عن الشورى أو خروجهم عن روح الإسلام وتعاليمه فزيف البعض من ضعاف الإيمان الأحاديث نظريا للخلفاء وتبريرا لسلوكهم، ولم تلبث هذه البدع التي أُلتم بالحديث أن أفزعت المخلصين من المسلمين فتصدوا لتنقية الحديث واستبعاد المندسوس فيه ووضع قواعد ومعايير للتمييز بين الحديث الصحيح والحديث الضعيف وأدى الاهتمام بالحديث إلى ظهور علم الحديث...وتطلبت تنقية الأحاديث من

63- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص من 49 إلى 50

السند (سلسلة الرواة) والمتن (نص الحديث) من ناحيتي المعنى واللفظ إلى ظهور ما يعرف بـ (الجرح والتعديل) ويقال إن أول من ألف في هذا الباب يحيى بن كتان ت 198هـ،⁶⁴

ثالثاً : الفقه الإسلامي

حدد الفقه الإسلامي العلاقات بين أبناء الأمة الإسلامية، وتنظيم كيائها، وتقنين المعاملات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبيان العقوبات على المخالفين للأحكام، وبمرور الأيام ظهرت مستجدات ونوازل جديدة لم يعهدها المسلمون الأوائل، فقام العلماء لإيجاد الحلول المناسبة لها وفق مبادئ الإسلام وتشريعاته العامة.

ولاشك أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، غير أنه في العصر المكي كانت كل الآيات والصور التي نزلت تعالج موضوع العقيدة وتثبيتها في قلوب الناس ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يرتبط بهذا من ثواب وعقاب وجنة ونار، أما الآيات المدنية فقد عالجت جوانب المعاملات الخاصة والعامة وما يرتبط بها من أحكام كالزواج والطلاق، والبيع والشراء ، فضلاً عن الأمور الجنائية مثل القتل والسرقة والزنا.

ولقد نما التشريع في العهد المدني بعد أن أقام الرسول صلى الله عليه وسلم دولة الإسلام في المدينة المنورة، فأخذ التشريع ينمو تدريجياً وفقاً لحاجات المجتمع، وما يتعرض له من حوادث ومستجدات ، والأسئلة التي كانت توجه للرسول وتحتاج إلى إجابة، فظل هذا التشريع ينمو مع نمو الجماعة الإسلامية ويكبر ويتسع مع كبر الدول الإسلامية.

وإذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للشريعة الإسلامية قُصد به أن يكون دستوراً لكل زمان ومكان، فإنه يتجه نحو الأمور الكلية، وجاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تفصل المجل وتشرح الغامض، وتوضح حكم ما لم يذكره القرآن الكريم، فكانت المصدر الثاني للتشريع الإسلامي. ولكن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانتشار الإسلام في الآفاق وتوسع الدولة الإسلامية، ظهرت مشاكل جديدة ومتنوعة لم يعدها الناس على أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، مما اضطر الصحابة للاجتهاد منذ وقت مبكر، واتسعت ظاهرة الاجتهاد فيما بعد في العصر الأموي والعصر العباسي، فظهرت مدرسة الرأي والاجتهاد والقياس في العراق في القرنين الأول والثاني، واتسمت هذه المدرسة بكثرة التفريعات والافتراضات، كما قللت من الاعتماد على الحديث النبوي وضعفوا الكثير من الأحاديث وشككوا في رواته. وقوبل هذا الاتجاه بمعارضة قوية من أصحاب مدرسة الحديث في الحجاز التي اعتمد روادها على القرآن أولاً ثم الحديث في الأحكام الشرعية وبالغوا في ذلك فاعتدوا بالأحاديث الضعيفة، وكرهوا إعمال الرأي والجري وراء الفروض.

وظهرت مدرسة ثالثة تحتل مكاناً وسطاً بينهما وكان على رأس هذه المدرسة هو الإمام الشافعي رحمه الله⁶⁵

وهكذا ظهرت المذاهب السنية الفقهية المعروفة وهي:

أ - المذهب الحنفي:

وينسب إلى أبي حنيفة النعمان (ت150هـ) عاش في العراق ، وعُرف باعتماده على الاجتهاد وإعمال العقل، والتشدد في قبول الحديث مما عرضه لنقد المحدثين والفقهاء، ومن تلاميذه أبو يوسف ، ومحمد بن الحسن الشيباني.

ب المذهب المالكي:

ينسب إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت179هـ)، عاش في المدينة المنورة وتلقى العلوم على علمائها، وكان أساس التشريع عنده : القرآن الكريم والحديث النبوي، ثم يأتي بعد ذلك عمل أهل المدينة. ألف كتاب (الموطأ) وهو كتاب في الحديث والفقه، أما (المدونة) فهي مجموعة رسائل جمعها تلميذه أسد بن الفرات.

ج - المذهب الشافعي:

يُنسب إلى محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ) عاش في بداية حياته في الحجاز وتعلم على الإمام مالك ، وتنقل بعد ذلك بين اليمن وبغداد ومكة، ثم استقر به المقام في مصر واستقر بها حتى توفي. جمع بين مدرستي الرأي بالعراق والحديث بالحجاز، ومن آثاره كتاب (الأم).

د - المذهب الحنبلي:

ينسب للإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ)، عاش في العراق وتنقل بين الكوفة والبصرة ومكة والمدينة المنورة والشام واليمن، قام بجمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وبني مذهبه على الحديث، وإذا وجد فتوى من الصحابة عمل بها، ويُقدم الحديث المرسل والضعيف على القياس ، ومن أشهر كتبه (مسند الإمام أحمد).

انتشرت المذاهب السابقة في كثير من الأقطار، والغالب أن كل مذهب ساد قطرا من الأقطار، وقلت إلى جانبه المذاهب الأخرى، وصار لكل مذهب علماءه وتلاميذه⁶⁶

رابعاً : علوم اللغة العربية

تعد اللغة العربية من أغنى اللغات السامية وأرقاها، وذلك لأنها تتصف بكثرة المترادفات، والمرونة في صياغة المشتقات من ألفاظها. وبذلك استطاعت أن تكون صالحة للتعبير عن أعظم حضارة عرفها العالم في العصور الوسطى

65- أنظر مزيداً من التفصيل، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، ص من 40 إلى 44.

66- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص من 46 إلى 49 وتاريخ الحضارة الإسلامية، ص 576.

"وبفضل قوة اللغة العربية وغناها وقدرتها على النحت واشتقاق اللفظ المعبر استطاعت أن تكون أداة صالحة للتعبير عن أعظم حضارة عرفها العالم أجمع في العصور الوسطى، ذلك أنها لم تقف عاجزة أمام علوم اليونان والفرس والهنود وغيرهم من أصحاب الحضارات السابقة، وإنما عبرت عن علومهم بما فيها من معان ومصطلحات لم يكن للعرب معرفة من بها من قبل تعبيرا علميا دقيقا"⁶⁷

أ/ ظهور المعاجم العربية:

"بعد انتشار الإسلام ودخول الناس فيه ضعف اللسان العربي الفصيح، ودخلت الكثير من المصطلحات الغريبة، وحُرِّفَتْ بعضُ المصطلحات العربية، فخاف بعض الغيورين على اللغة العربية فانكبوا على جمع مصطلحاتها ومفرداتها من مختلف المصادر، ومن هذه المصادر ما يلي:

أ – القرآن الكريم: فهو يمثل قمة البيان، وأنه يحتوي على ثروة لغوية كبيرة.

ب – الحديث النبوي: فهناك مصطلحات كثيرة ومفردات عديدة ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم.

ج – الشعر العربي الموثوق بصحته ونسبته مثل الشعر الجاهلي، وشعر صدر الإسلام.

د – الرحلات للبوادي لمعرفة معاني كلمات جديدة

وأول من أعد معجما لغويا متكاملًا هو الخليل بن أحمد الفراهيدي سماه كتاب (العين)، ورتبه على مخارج الحروف وبدأه بحرف العين لأنه أقوى حرف من حروف الحلق.

ثم جاءت المعاجم الأخرى التي أُلفت فيما بعد منها الصحاح للجوهري، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ولسان العرب لابن منظور"⁶⁸.

ب / المدارس النحوية

نشأت مدرسة النحوي في الكوفة والبصرة اللتين أسسهما المسلمون في عامي 16 و 17 للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واكتظتا بالسكان من مختلف الأجناس من الفرس والهنود والصينيين.

إن وجود هذه التشكيلة الكبيرة من مختلف الأجناس في مدينة كالبصرة والكوفة هدد بانحراف اللسان العربي، فسارع بعض العلماء لوضع طريقة لضبط الكلمات حتى لا يتعرض اللسان العربي للتحريف،

67- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية. ص 54

68- محاضرات في الحضارة العربية الإسلامية، مصباح كمال، ص 10

ويقال أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من شكّل القرآن الكريم بعدما سمع أحد العجم يقرأ قوله تعالى (إن الله برئ من المشركين ورسوله) بكسر لام (ورسوله)

وأهم المدارس النحوية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي هي:

أ - مدرسة الكوفة : وأشهر علمائها أبو جعفر الرؤاسي وهو أول من ألف في النحو من أهل الكوفة، وجاء بعده تلميذاه الكسائي والفراء .

ب - مدرسة البصرة : أشهر علمائها أبو إسحاق الحضرمي ، ثم الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم أخذه عنه سيبويه وبوبه في كتابه المشهور (الكتاب).

ج - مدرسة بغداد (145هـ) وانتقل إليها الكثير من علماء الكوفة والبصرة.

د - مدرسة مصر : وأشهر علمائها : ابن ولاد ، وأبو جعفر النحاس.

هـ - مدرسة الأندلس : وأشهر علمائها أبو علي القالي ، وابن عبد ربه، وابن القوطية، وابن خروف، وابن عصفور، وابن مالك.

أما أهم الفروق بين مدرستي الكوفة والبصرة في النحو هي أن البصريين رأوا أن يُهملوا الشواذ بحيث لا يقاس عليها . أما الكوفيون فقد رأوا أن يحترموا كل ما جاء عن العرب ويجيزوا استعماله للناس، حتى ولو كان من الشاذ الذي لا يتماشى مع القواعد العامة"⁶⁹.

ج / الشعر والأدب:

اشتهر الأدب العربي ببلاغته منذ عصر ما قبل الإسلام وخاصة في مجال الشعر وكان لصفات الجزيرة التضاريسية والمناخية والاجتماعية أثرها في طبع الشعر العربي بأغراضه المختلفة، إلى جانب ثراء اللغة العربية وغناها بالألفاظ والمترادفات مما ساعد على نغم القصائد الطويلة وفي مقدمتها المعلقة التي جمعت بين البلاغة وجزالة اللفظ وعمق المعنى وحسن التعبير"⁷⁰

ونظرا لارتباط اللغة بالأدب، فإن العلماء الذين رحلوا إلى البادية في صدر الحركة العلمية لجمع لغة العرب، جمعوا أيضا أديهم، وبخاصة من الشعر والقصص والأمثال والحكم والأخبار والأيام، وكان من

69- محاضرات في الحضارة الإسلامية، ص 10 وانظر مزيدا من التفصيل في دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية

العربية، ص من 60/62 و تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 582/583

70- تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 579.

المستحيل عليهم جمع كل تراث الأدب العربي-شعرا ونثرا- نظرا لضخامة هذا التراث، ولذا اكتفوا بجمع مختارات من الشعر بصفة خاصة، ومن أمثلة هذه المختارات: جبهة أشعار العرب، والمفضليات نسبة إلى المفضل، والأصمعيات نسبة على الأصمعي، وكلها مجموعات من القصائد لمشاهير الشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام⁷¹.

أما النثر فلم يكن بأهل ثراء وخصب من الشعر في العصور الإسلامية وشهدت بذلك صور البلاغة التي عرف بها الكاتب، وكان للكتابة شروطها المعتمدة وكان عبد الحميد الكاتب صورة متألفة لهذه الصناعة في العهد الأموي حتى قيل: "بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد" وقد استوعب عبد الحميد شروط الكتابة في رسالته المشهورة التي وجهها للكتاب⁷².

وفي العصر العباسي اشتهر كثير من الكتاب على غرار ابن قتيبة والمبرد والجاحظ وجعفر البرمكي وابن المقفع وأبو حيان التوحيدي وابن عباد وابن العميد وأبو بكر الخوارزمي والصابي وأبو فضل الهمداني وغيرهم كثير

المحاضرة الرابعة عشر:

خامسا : علوم أخرى عرفت بها الحضارة العربية الإسلامية

1 - علم التاريخ⁷³:

اهتم العرب بالتاريخ منذ القدم، وتطلعوا إلى سماع تاريخ الأمم البائدة حينما وإلى سماع أخبار أيامهم قبل الإسلام أحيانا. وبدخول كثير من الأمم في الإسلام حرصوا على ربط حاضريهم الإسلامي بماضيهم قبل الإسلام.

وهناك عدة أسباب أدت إلى ازدهار الحركة التاريخية في صدر الإسلام منها:

أ – إحساس بعض الخلفاء وحكام الدولة الإسلامية بالحاجة إلى الوقوف على أخبار السابقين والاستفادة منها خصوصا حكام الدول وأساليبيهم في سياسة دولهم وإدارة شؤون بلادهم.

ب – باتساع الدولة الإسلامية دخل فيها كثير من الناس والشعوب أصحاب تاريخ عريق مثل أهل مصر والشام والهند وفارس والعراق، وهذه الشعوب لا يمكن أن تنسى ماضيها.

71- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص 58

72- تاريخ الحضارة الإسلامية ص 581

73- أنظر دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص من 63/66 باختصار

ج - وجه القرآن الكريم أنظار المسلمين إلى كثير من قصص الأمم السابقة مع أنبيائهم للعبارة مثل: قوم عاد وثمود ومدين وقوم فرعون.

د - كما يحتوي الحديث النبوي على جانب مهم من المعرفة التاريخية: منها السيرة النبوية ، وهجرته ، وغزواته، وجهاده

هـ - انتشار القصص التاريخية في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية وهي قصص مزيج من الواقع والخيال.

وقد تميز التاريخ الإسلامي بميزة لا تتوفر في غير من المؤلفات التاريخية غير الإسلامية حيث كان المؤرخون يعتمدون في تدوين التاريخ والوقائع التاريخية على الإسناد متأثرين في ذلك بالمحدثين.

2 - علم الجغرافيا⁷⁴:

عرف المسلمون علم الجغرافيا ، وأدركوا أهميته بين العلوم الأخرى، نظرا للحاجة إليه في الحل والترحال والعبادة وطلب العلم، وفي الزراعة والتجارة. فهو علم يحتاجه التاجر والمسافر والملوك والكبراء والقضاة والفقهاء.

ومن المعروف أن الإسلام حث على السفر والرحلة وجعل فيها فوائد شتى منها طلب العلم والرزق، فقام كثير من المسلمين برحلات جابوا خلالها البلاد من شرق آسيا إلى مجاهل أفريقيا وسواحل المحيط الأطلسي، وأقاموا علاقات تجارية مع كثير من الشعوب والأمم.

- ومن أشهر الجغرافيين العرب الذين قاموا برحلات مختلفة هم:

- رجل يدعى سليمان البحار الذي تنقل في أماكن كثيرة حتى وصل الهند والصين وكتب مشاهداته في البلاد التي زارها، وملاحظاته عن العادات والتقاليد التي شاهدها.

- ابن جبیر صاحب الرحلة المعروفة، الذي ارتحل من المغرب في اتجاه الشرق ووصف كل المدن والأماكن التي حل بها مثل مصر والشام والحجاز، وكان يصف المدن من النواحي العمرانية والاقتصادية والزراعية ومن ناحية المناخ والطبيعة.

- ابن خرداذبة وكتابه (المسالك والممالك) وصف فيه البلدان ومسالكها والمسافات بين المدن .

74- أنظر دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص من 80/74 باختصار

- المسعودي وكتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، وصف فيه هيئة الأرض ومدنها وعجائبها وبحارها وأغوارها وجبالها وأنهارها، فهو يصف كل النواحي الجغرافية المعروفة في زماننا الحاضر.
 - المقدسي صاحب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وصف فيه الأماكن التي ارتحل إليها وصفا دقيقا من كل النواحي الطبيعية والعمرانية والزراعية والاقتصادية.
 - الهمداني: وكتابه وصف جزيرة العرب، وصفها وعدد أقاليمها.
 - الشريف الإدريسي وكتابه (نزهة المشتاق في ذكر الأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق). وقد قال بكروية الأرض، وهو من أوائل الذين رسموا خريطة للعالم، وهي الآن محفوظة في متاحف فرنسا وقد رسم عليها منبع نهر النيل من بحيرات في الجنوب. كما ذكر البوصلة في مؤلفاته، وعن المسلمين أخذها الأوروبيون.
 - ياقوت الحموي صاحب كتاب معجم البلدان، ذكر فيه أسماء البلدان والمدن والقرى الشهيرة وغيرها من المواضع الشهيرة
 - ولقد استفاد الجغرافيون المسلمون ممن سبقوهم من أهل اليونان وصححو كثيرا من أخطائهم، وأضافوا معلومات جديدة وغزيرة، فقد تمسكوا بفكرة كروية الأرض، وتوصلوا إلى معلومات جديدة في فروع الجغرافيا من طبيعية وبشرية ومناخية وفلكية وغيرها.
- 3 - حركة الترجمة⁷⁵**
- ظلت حركة الترجمة في العصر الأموي محاولات فردية تنتهي بوفاتهم. ونشطت حركة الترجمة في العصر العباسي بفضل تشجيع الخلفاء العباسيين لها، واهتمت بكل العلوم بعد أن اقتصر في العصر الأموي على الكيمياء والفلك والطب.
- وتعتبر مدينة بغداد عاصمة الخلافة المركز الرئيس للترجمة في العهد العباسي حيث نزح إليها كثير من العلماء من مختلف الأماكن، واستقروا بها، وأسس لهم هارون الرشيد بيت الحكمة التي تعد أكاديمية علمية، وقاموا بترجمة الكثير من العلوم المختلفة ومن أشهرهم:
 - حنين ابن إسحاق ترجم كتب أبقرط وجالينوس في الطب.
 - ابن المقفع: ترجم كتاب كليله ودمنة من الفهلوية (لغة الفرس في عهد بني ساسان).
 - الرهاوي، يوحنا بن ماسويه، وثابت ابن قره، والبلاذري وغيرهم.

75- أنظر مزيدا من التفصيل في دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص 86/92

- كما استفادت الحضارة الإسلامية من حضارة الهنود في مجال الرياضيات والفلك والطب وخصوصاً في الأعشاب الطبية.

4 - الفلسفة⁷⁶:

لم يشتهر العرب بالفلسفة في تاريخهم السابق على الإسلام، ولكنهم نقلوا الفلسفة والجدل والمنطق عن حضارة اليونان، واستخدموها في الرد على مجادلهم من اليهود والنصارى في تفسير بعض آيات القرآن لإقناعهم. ومهد هذا لظهور علم الكلام.

- ومن أبرز المتكلمين جماعة المعتزلة الذين أمنعوا في تحكيم العقل في المسائل الدينية، مثل تفسير صفات الله وخلق القرآن، وقللوا من تفسير القرآن بالمأثور والمنقول، وأنكروا الكثير من الأحاديث التي تتعارض مع عقولهم، وهذا أوقعهم في خصومة مع أهل الحديث. إلا أن المعتزلة اتخذوا الإيمان بالله والتمسك بأركان الإسلام أساساً لفكرهم، ثم بدؤوا بالبرهنة على كل ذلك بالأدلة العقلية.
 - انتشر هذا المذهب في القرن الثاني وأوائل القرن الثالث وخاصة في عهد الخليفة المأمون.
 - أما الفلاسفة فقد نظروا إلى كافة المسائل نظرة مجردة من أي إحساس ديني، ثم أخذوا يطبقون أساليب العقل والمنطق على كل منها حتى يصلون إلى الحقيقة، وأشهر ما ألفه الفلاسفة رسائل أخوان الصفا. وقد ألفه مجموعة من الفلاسفة منهم البستي المقدسي، الزنجاني، النهرجوري، زيد بن رفاع، وأغلبهم من الإسماعيلية الباطنية.
 - إذاً أهل الكلام بدؤوا من التسليم بالإيمان والبرهنة عليه بالعقل، بينما الفلاسفة بدؤوا من الصفر مستخدمين العقل للوصول للحقيقة.
 - ومن أشهر الفلاسفة المسلمون الفارابي وابن سينا والكندي ابن رشد (المعلم الثاني)، ومن الفلاسفة المتصوفين الغزالي صاحب الإحياء.
- كما كان للحضارة الإسلامية اهتمام بالعديد من العلوم:⁷⁷

كالرياضيات ومن أشهر من علماء الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمي (وهو أول من أوجد علم اللوغاريتمات).

76- محاضرات في الحضارة الإسلامية، مصباح كامل ص 14 وانظر تفصيلاً أكثر دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص من 101/93

77- راجع في بيان أهم العلوم التي عرفت في الحضارة الإسلامية كل من: محاضرات في الحضارة الإسلامية، مصباح لثمل ص 17/14 و دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص من 102 / 126 فقد ذكر بالتفصيل والتدقيق جميع العلوم التي برع فيها المسلمون وذكر أهم مشاهير العلماء وأبرز مآثرهم ومصنفاتهم.

علم الفلك ومن أشهر العلماء ابن يونس المصري الذي قام بأبحاث في الكسوف والخسوف، وتعيين الاعتدال الشمسي. كما طور المسلمون المراصد الفلكية وجهاز الاسطرلاب (الذي يستخدم في تحديد ارتفاعات الكواكب عن الأفق، وتعيين الزمن) واستخدموها في بحوثهم الفلكية ، وبنوا مراصد في دمشق وبغداد والقاهرة وسمرقند وأصبهان والأندلس. وأدت البحوث التي أجراها عمر الخيام إلى إصلاح التقويم الفارسي القديم، وإنشاء تقويم سنوي جديد عرف باسم التقويم الجلالى، نسبة إلى الملك جلال الدين ملكشاه.

وفي علم الفيزياء اشتهر من علماء المسلمين الخازن البصري - البيروني - ابن سينا - الحسن بن الهيثم المصري الذي تفوق في البصريات والضوء ، وله كتاب المناظر الذي عالج فيه موضوعات تشريح العين وكيفية تكوين الصور على شبكة العين، وانكسار الضوء وانعكاسه.

وفي علم الكيمياء اشتهر من علماء المسلمين جابر بن حيان الكوفي (القرن الثاني للهجرة) فقد ترك مصنفات خالدة أشهرها كتاب (الاستتمام) والإمام الرازي (925م) ومن أشهر كتبه (سراسرار) الذي اعتمد فيه على التجربة والمشاهدة، واستفاد منه الأوروبيون فائدة كبيرة خاصة فيما يخص تقسيم الكيمياء إلى معدنية ونباتية وحيوانية. كما اكتشف المسلمون البارود واستخدموه في الأسلحة النارية والمدافع فيما بعد ، وعنهم أخذه الأوروبيون كما توصلوا إلى ما يعرف بالكيمياء الصناعية، وهو استخدام المواد الكيميائية في الصناعة منها صباغة الأقمشة، ودبغ الجلود، وصناعة المعادن وتركيبها، وصناعة العطور وتركيبها، وصناعة الأدوية وغيرها.

وفي علم الطب اهتم المسلمون بالطب وقد اتخذ الخلفاء العباسيين أطباء خاصين لعلاجهم كما كان مع الخلفية المنصور واستفاد المسلمون في الطب اليوناني وطوره وأضافوا إليه أمورا كثيرة . وألحقوا دراسة الطب بالمستشفيات ليتمكن المعلمون والمتعلمون من تشخيص الحالات المرضية ، ومتابعتها ، والوقوف على تطور المرض وأعراضه، واعدوا للمريض ملفا خاصا يشرح حالته الصحية والأدوية التي تناولها والأمراض التي يشتكي منها.

وقد اشتهر من الأطباء المسلمون كثير منهم :

- الرازي (925م) من أكبر الأطباء المسلمين الذين اشتهروا في الطب الإكلينيكي (السري) في العصور الوسطى ، وله أكثر من مائة كتاب ونحو ثلاثين بحثا ورسالة ، بعضها في الكيمياء والصيدلة ، وأشهر كتبه كتاب (الحاوي في الطب) وكتاب (المنصورى)، وقد ترجمت كتبه إلى اللاتينية ، ودرست في الجامعات الأوروبية في الفترات السابقة .

- علي بن العباس (1010م) صاحب كتاب (الملكي) الذي اعتمد فيه على مشاهداته الميدانية في المستشفيات .
- ابن سينا (1036م) من أشهر علماء المسلمين على الإطلاق حتى لقب بالمعلم الثاني تشبهاً له بأرسطو المعلم الأول ، وله عديد من المؤلفات في الفلسفة والطب والهندسة والفلك والموسيقى ، وأشهر كتبه (القانون في الطب) الذي يعتبره الغربيون أفضل ما أنتجته القريحة الإسلامية. وقد تناول هذا الكتاب شتى الأمراض ، وأسبابها ، وعلاجها . وقد ترجم للعديد من اللغات ومن أوائل الكتب التي طبعت في روما ودرس في الجامعات الغربية.
- أما في طب العيون فقد اشتهر الكحالون وهم أطباء العيون منهم عمار بن علي الموصلي وله كتاب (المنتخب في علاج أمراض العيون)
- علي بن عيسى صاحب كتاب (تذكرة الكحالين) وهو من الكتب التي ضلت تدرس في أوربا حتى القرن الثامن عشر للميلاد.
- حنين بن إسحاق صاحب كتاب (العشر مقالات في العين) يحتوي على جميع المعلومات الضرورية لعلاج أمراض العين.
- الزهراوي (1036م) صاحب كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) وهو من أشهر الجراحين في تاريخ الطب الإسلامي، وقد قام بالعديد من العمليات الجراحية ، ووصف الآلات التي استخدمت في هذه العمليات.
- كما عرف الأطباء المسلمون الكثير من الأمراض النفسية ، ووصفوا لها علاجات، وفسروا الكثير من الاضطرابات النفسية التي تصيب الإنسان .